بسم الله الرحمن الرحيم

((وَعِزَّتِي وَجَلالِي لَأَنْصُرَنَّك وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ))

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾[١]، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لا يُضِيعُ عَمَلَ العَامِلِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَنْ رَفَعَ اللهُ ذِكْرَهُ وَجَعَلَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، تَكُونُوا مِنَ المُقَرَّبِينَ، وَتَكُونُوا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاسْمَعُوا قَوْلَ الحَقِّ جَلَّ جَلالُهُ؛ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءَ الصُّدُورِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٢]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٣]، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٤].

وَلَمَّا كَانَ المُتَّقُونَ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ – أَوْلِيَاءَهُ كَانَتْ لَهُمْ صِفَاتٌ تَرَبَّوْا عَلَيْهَا، وَخِصَالٌ حَسَنَةٌ دَرَجُوا عَلَيْهَا، فَتَحَقَّقَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا النَّجَاحُ، وَيَرْجُونَ فِي الآخِرَةِ مِنَ اللهِ الفَلاحَ، وَلْنَنْظُرْ إِلَى سُورَةِ ص، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سُورَةُ ص، تِلْكَ السُّورَةُ الَّتِي سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ آيَةٍ مِنْهَا لِرُؤْيَا مَنَامٍ عَجِيبَةٍ نَقَلَتْهَا الآثَارُ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: "رَأَيْتُ كَأَنِّي تَحْتَ شَجَرَةٍ أَقْرَأُ ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[٥]، فَلَمَّا بَلَغْتُ السَّجْدَةَ سَجَدَتِ الشَّجَرَةُ، ثُمَّ قَالَتْ: رَبِّ أَعْطِنِي بِهَا أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَارْزُقْنِي بِهَا شُكْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ سَجْدَتَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ((نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ مِنَ الشَّجَرَةِ))، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿صٓ﴾[٦]، وَسَجَدَ وَقَالَ هَذَا القَوْلَ.

إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ الكَرِيمَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبَ وَوَصَايَا تَدْعُونَا إِلَى الوُقُوفِ عِنْدَها وَقَفَاتِ المُتَدَبِّرِينَ، فَفِي أَوَّلِ الصَّفْحَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ سُورَةِ ص، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى خِطَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[٧]، إِنَّ فِي هَذِهِ الآيَةِ بَيَانًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَحِقَهُ مِنَ الأَذَى مَا كَانَ ثَقِيلًا عَلَى النَّفْسِ، شَدِيدًا عَلَى القَلْبِ، وَلا يَظُنَّنَّ ظَانٌّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لا يَتَأَذَّى بِالقَوْلِ، فَقَدْ أَخْبَرَ القُرْآنُ الكَرِيمُ عَنْ أَثَرِ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَالَ:

(١) الروم: ٥
(٢) الدخان: ٥١
(٣) النبأ: ٣١
(٤) الأنفال: ٣٤
(٥) ص: ١
(٦) ص: ١
(٧) ص: ١٧

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1]، وَيَقُولُ الحَقُّ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[2]، وَلَمَّا كَانَ الأَمْرُ بِهَذِهِ الشِّدَّةِ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ الأَمْرُ دَاعِيًا إِلَى أَمْرِهِ بِالصَّبْرِ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ صَابِرًا، فَفِي أَمْرِهِ بِالصَّبْرِ أَمْرٌ لَهُ بِالاسْتِمْرَارِ عَلَى الصَّبْرِ وَالزِّيَادَةِ فِيهِ؛ لأَنَّ قَوْلَهُمْ لَنْ يَتَوَقَّفَ، وَإِيذَاءَهُمْ لَنْ يَنْتَهِيَ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ النُّفُوسَ يُدَاخِلُهَا الضَّجَرُ، وَتَنْتَابُهَا السَّآمَةُ وَالمَلَلُ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ مُحْتَاجَةً إِلَى التَّذْكِيرِ بِالصَّبْرِ وَعَاقِبَةِ الصَّابِرِينَ؛ حَتَّى لا يَتْرُكَ الصَّابِرُونَ صَبْرَهُمْ، بَلْ يَبْقَوْنَ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَيَتَحَقَّقَ نَصْرُ اللهِ ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[3]، وَمِنْ تَرْبِيَةِ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ دَعْوَتُهُ إِلَى الصَّبْرِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ مِنَ الضَّجَرِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْهَاجًا تَسِيرُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَنَحْنُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الطَّوِيلَةِ مِنَ العُدْوَانِ عَلَى أَرْضِ الإِسْرَاءِ وَأَهْلِهَا بِصُنُوفٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ العَذَابِ وَالإِيذَاءِ – مُحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ الدُّرُوسِ غَايَةَ الحَاجَةِ؛ حَتَّى تَثْبُتَ الأُمَّةُ، وَتَبْقَى مُتَمَاسِكَةً مُتَعَاوِنَةً، يَنْصُرُ بَعْضُهَا بَعْضًا غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ إِلَى إِيذَاءِ المُؤْذِينَ وَتَخْذِيلِ المُخَذِّلِينَ؛ فَإِنَّ المُخَذِّلِينَ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ القُرْآنُ المُرْجِفِينَ لَنْ يَخْلُوَ مِنْهُمْ زَمَانٌ. وَمَثَلُ المُرْجِفِينَ المُعَوِّقُونَ الَّذِينَ يَقِفُونَ أَمَامَ عَمَلِ الخَيْرِ وَنَشْرِ الفَضِيلَةِ وَزِرَاعَةِ الإِحْسَانِ، وَيَطْلُبُونَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَفْسِيرًا؛ لِمَ فُعِلَ هَذَا وَلِمَاذَا تُرِكَ هَذَا! وَلَوْ صَارَ الإِنْسَانُ سَمَّاعًا لَهُمْ لَمَا عَمِلَ شَيْئًا، وَلَبَقِيَ دَهْرَهُ يُبَيِّنُ لَهُمْ وَيَذْكُرُ الأَسْبَابَ؛ وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ العَمَلَ مَنُوطًا بِرِضَاهُ لا بِرِضَا النَّاسِ فَقَالَ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[4]، وَإِنَّ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الشَّأْنِ: "الحَيَاةُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَشْرَحَ لِلنَّاسِ حُسْنَ نَوَايَاكَ".

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ

(١) الأنعام: ٣٣
(٢) الحجر: ٩٧ ، ٩٨
(٣) البقرة: ٢١٤
(٤) الكهف: ١١٠

وَرَسُولُهُ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَهْلَ الإِيمَانِ وَهُمْ يَمُرُّونَ بِالمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ يَحْتَاجُونَ مَعَ تَذْكِيرِهِمْ بِالاسْتِمْرَارِ عَلَى الصَّبْرِ إِلَى ضَرْبِ المَثَلِ وَذِكْرِ القُدْوَةِ؛ لِيَقْتَدُوا بِهُدَاهُمْ، وَقَدْ قَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ بَعْدَ أَمْرِهِ بِالصَّبْرِ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[١]، وَهُنَا يَسْأَلُ السَّائِلُ لِمَاذَا أَمَرَ اللهُ أَنْ يَذْكُرَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ؟ لَقَدْ أُوذِيَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَمَا أُوذِيَ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَلا رُكْنٌ يَأْوِي إِلَيْهِ، بَلْ كَانَ جُنْدِيًّا فِي جَيْشِ طَالُوتَ، وَحَسَدَهُ النَّاسُ حَسَدًا شَدِيدًا، فَأَمَرَهُ اللهُ بِالصَّبْرِ فَصَبَرَ؛ فَكَانَتْ عَاقِبَةُ الصَّبْرِ حَسَنَةً: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾[٢]، وَرَزَقَهُ اللهُ التَّأْيِيدَ، وَلَمَّا كَانَتْ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ مُشَابِهَةً لِحَالِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ ذَكَّرَ بِهِ؛ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ مَنْ نَصَرَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ سَيَنْصُرُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ؛ فَأَعْطَى اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ مَا لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ مِنْ رُسُلِ اللهِ ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[٣].

فَكَانَ حَقِيقًا بِنَا –أُمَّةَ الإِسْلامِ– أَنْ نَتَوَاصَى بِالصَّبْرِ وَيُذَكِّرَ بَعْضُنَا بَعْضًا بِأَحْوَالِ الصَّابِرِينَ وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِمُ المَحْمُودَةِ، وَأَنْ نَكُونَ يَدًا لإِخْوَانِنَا فِي أَرْضِ الإِسْرَاءِ وَغَيْرِهَا مِنَ المَوَاطِنِ الَّتِي يَلْحَقُ فِيهَا المُسْلِمِينَ الأَذَى، فَنُعِينَهُمْ بِالقَوْلِ الحَسَنِ وَالفِعْلِ الزَّاكِي مِنْ نُصْرَتِهِمْ بِالمَالِ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ وَإِشْعَارِهِمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا وَحْدَهُمْ، بَلْ مَعَهُمْ إِخْوَانُهُمْ وَأَخَوَاتُهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي هَذِهِ الأَرْضِ ((وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ؛ مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[٤].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا

(١) ص: ١٧ .
(٢) البقرة: ٢٥١ .
(٣) الحديد: ٢١.
(٤) الأحزاب: ٥٦.

مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لإِخْوَانِنَا فِي أَرْضِ الأَقْصَى المُبَارَكِ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.